الأدب والفن في أسبوع

أهمية في الأدب :

من بلائي أني أقرأ أكثر ما يكتب في هذه الأيام ، وخاصة ما يتعلق بالآداب والفنون ، وقد وقعت أخيراً في مجلة « العالم العربي » على كلمة في كتاب « أبو الهول يطير » الذي ظهر أخيراً للأستاذ محمود تيمور بك ، بتوقيع (أنور المعداوي — من الأمناء)

قال ذلك الذي هو من « الأمناء » بعد أن وصف ما كتبه تيمور في أول الكتاب عن فجيعته في ولده : « ولست أدري ما الذي دفع بيدي — وأنا في دنيا تيمور الحزينة — إلى كتاب « وحي الرسالة » لتقلب صفحاته حتى تقف بي عند صفحة تحمل عنواناً حزيناً هو « ولدي » ، لقد رحت أقارن بين الكلمات هنا وهناك فماذا رأيت ؟ رأيت البون شاسعاً بين آثار الفجيعة في الأديب المصنوع وأثرها في الفنان المطبوع » .

ومجلة العالم العربي كانت قد أعلنت ، بعد أن تنحى عنها الأستاذ سيد قطب ، أن سيشترك في تحريرها الأستاذ محمود تيمور بك ، ثم كتبت على غلافها « يشترك في التحرير : محمود تيمور بك » والمعروف عن تيمور أن مشاركاته في الصحف والمجلات لا تتعدى قصة أو مقالا يكتبه للصحيفة أو المجلة ، وليس الأمر إلا كذلك في علاقته بمجلة العالم العربي ، وقد فهم الناس بطبيعة الحال أنها ترمي إلى الاستعانة باسم تيمور ، فهل البون الشاسع بين أثر الفجيعة ... الخ - تحية لتيمور على حساب النيل من الأقدار !

أو أن البون الشاسع .. الخ بدرة من بدوات « الأمناء » وزفرة من زفراتهم الحرار التي تحتبس بين ضلوعهم من يوم أن ساق إليهم صاحب « دفاع عن البلاغة » فاصمة الظهر في كلمته البالغة الخالدة عند ما تعرضوا لكتابه في مجلة « الكتاب » ؟

ونعرف كثيراً من دوافع النقد في مصر ، ولكنا لم نعهد بينها أن جماعة تنتمي إلى البلاغة والأدب وتنتسمي باسم أستاذها ، تضطغن على من يخاصمه هذا الأستاذ ، فتحاول النيل منه بالدعاوى المطلقة والقول الجذاف ، فأصبحنا بذلك أمام حزب كأحزاب السياسة ، يستعمل أدواتها في التشهير بالخصوم ..

ثم ما هذا الذي يقوله ذلك « الأمين » المعداوي ؟ إنه يردد ما هرف به بعض العجزة المتخلفين ، إذ قالوا إن الأستاذ الزيات يصنّع في أدبه ، وهم يقصدون ما يتوخاه في كتابته من حسن الصياغة وجمال الديباجة وإجادة الرصف وإحكام النسج . ومن أعجب العجب أن يعاب الكاتب بهذه المزايا ، كأن الركاكة وضعف الأسلوب من أمارات العبقرية والنبوغ ! على أن الزيات يحلي أصالة الطبع ببراعة الصنعة ، وهو في كتابته كالرجل الأنيق المتى بهندامه وزيه دون إسراف ولا تكلف ؛ وقد أجل العقاد نعته بقوله : « أنيق في غير بهرجة ولا فضول ، بليغ في غير عسر ولا تكلف » .

على أن تيمور أخذ هو أيضاً منذ سنوات يميل إلى التنميق اللفظي ، وخاصة في هذا الكتاب « أبو الهول يطير » وهذا هو يقول في خطاب ولده في الفصل الذي وازنه الكاتب « الأمين » بمقال « ولدي » :

« تهتاج بين جوانحي رغبة متقدة في الكتابة إليك ، في مخاطبتك ... في فك الإسار عن نفسي التي تتنزى في القيود والأصفاد ! لقد أسكنت هذه النفس قمقما من ثاقم « سليمان » وأحكمت سده بالرصاص ، وقذفت به في قاع المحيط ، هنالك تحت أعماق الماء ، حيث يتكدس الظلام والصمت طبقات فوق طبقات » فترى الصنعة بادية في هذا الكلام ، وهي جديرة أن تعد من عناصر الجمال الفني فيه ، فهل معنى ذلك أن تيمور أديب مصنوع ؟

إني لا أناقش هذا « الأمين » وهو لم يأت بدليل يناقش ولا حجة تدفع ، ولكني كنت مدرساً ، وأراني ، في هذا الموطن قد غلبت على طبيعة المدرس ، فجنحت إلى الشرح وإيراد المثال

يا بني ، إني آتيك بشيء من مقال « ولدي » فاسمع :

« كنت في طريق الحياة كالشارد الهيمان ، أنشد الراحة ولا أجد الظل ، وأفيض المحبة ولا أجد الحبيب ؛ وألبس الناس ولا أجد الأنس ، وأكسب المال ولا أجد السعادة ، وأعالج العيش ولا أدرك الغاية ! كنت كالصوت الأصم لا يُرجِّعه صدى وكالروح الحائر لا يقره هدى ، وكالمعنى المبهم لا يحدده خاطر !

كنت كالآلة نتجتها آلة واستهلكها عمل ، فهي تخدم غيرها بالتسخير ، وتميت نفسها بالدءوب ، ولا تحفظ نوعها بالولادة ؛ فكان يصلني بالماضي أبي ، ويمسكني بالحاضر أجلي ، ثم لا يربطني بالمستقبل رابط من أمل أو ولد ، فلما جاء (رجاء) وجدتني أولد فيه من جديد » .

فهل رأيت يا بني أبلغ من هذا في التعبير عن حال رجل قلق حائر ينشد تجديد حياته بولد ؟

وهاك أثر الفجيعة في الأديب « المصنوع » :

« إن قلبي ينزف من عيني عبرات بعضها صامت وبعضها معول ! فهل لبيان الدمع ترجمان ، ولمويل الثاكل ألحان ؟ إن اللغة كون محدود فهل تترجم اللانهاية ؟ وإن الآلة عصب مكدود فهل تعزف الضرم الوارى ؟ إن من يعرف حالي قبل رجاء وحالي معه يعرف حالي بعده ؟ أشهد لقد جزعت عليه جزعاً لم يغن فيه هزاء ولا عظة ! كنت أنفر ممن يعزيني عنه لأنه يهينه ، وأسكن إلى من يبا كيني عليه لأنه يُكْبِره ، وأستريح إلى النادبات يندبن القلب الذي مات والأمل الذي فات والملك الذي رفع ! » .

إن كلامك — يا بني — يدل على أنك قرأت هذا المقال من قبل ، وأن له في نفسك صدى من قديم ، ويلوح لي أنك ذو فهم ، ولكن تعصبك لجماعتك وتأثرك بجوها يغطيان على بصرك ...

ذكرى شوقي في (الأوبرج) :

على أثر ما كتبناه في العدد الماضي عن حفلة ذكرى شوقي ألزمع إقامتها في (الأوبرج) يوم ١٤ أكتوبر المقبل ، نشرت اللجنة المؤتلفة لتنظيم هذه الحفلة بيانا في الصحف جاء فيه « أما الغرض من إقامة هذا المهرجان فهو تخليد ذكرى أمير الشعراء فعليا بإنشاء قاعة محاضرات باسم شوقي »

واللجنة ترد بذلك على ما وجه إليها من النقد الخاص بتسعير شهود الحفلة بأسعار (الأوبرج) العالية وما في هذا من الاستغلال المادي لذكرى شوقي ، فاللجنة تقول إنها ستنشىء بما تفله الحفلة قاعة محاضرات باسم شوقي . وبطبيعة الحال لن تفل الحفلة ما يكفي لإنشاء هذه القاعة إلا إذا كانت حفلة (أوبرج) بمعنى الكلمة يشترك في إحيائها فلان وفلانة كما نشرت بعض المجلات ، أي أن شوقي شاعر مصر الخالد الذي أوفدت البلاد العربية كبار شعرائها للاشتراك في تكريمه بالأوبرا — سيحيي ذكراه في آخر الزمن شكوكو وتحية كاريوكا ... !

ولم كل هذا الابتذال والإسفاف ؟ لإنشاء قاعة محاضرات باسم شوقي !

عندنا قاعات للمحاضرات كثيرة ، أعرضت عنها اللجنة وتأبى إلا إقامة الحفلة في (أوبرج) الأهرام ... حيث تقام حفلات أجل (مايوه) في ضوء القمر ، وانتخاب ملكة الجمال ... فما دامت الأفكار قد تطورت إلى هذا الحد ، وأصبحت قاعات المحاضرات (مودة) قديمة .. فلم العناء بإنشائها وتجشم تكاليفها؟

إن إحياء شوقي نفسه لا يبرر هذه المهازل ، فضلا عن تخليد ذكراه بقاعة محاضرات !

نفهم أن تقام في (الأوبرج) حفلة لإحياء ذكرى «أسمهان» أما شوقي فمسرح الأوبرا يعرفه ، وقاعة الاحتفال الكبرى بالجامعة وغيرها ترحب بالاحتفال لاحياء ذكراه احتفالا يتمثل فيه الأدب الرفيع والفن المستقيم ...

البعثة الثقافية إلى السودان :

جرت وزارة المعارف في السنين الأخيرة على دعم العلاقات الثقافية والأدبية بين مصر والسودان ، فأوفدت بعض الأساتذة لإلقاء المحاضرات ، وأنشأت مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم كما أنشأت مدارس أولية في جهات مختلفة

وشرعت الوزارة في استئناف هذا النشاط في هذا العام ، فأعدت بعثة تتكون من ثمانية أساتذة بعضهم من الجامعة والبعض الآخر من رجال الوزارة ، ومعهم ثلاثون طالباً من طلبة معهد التربية العالي للمعلمين ومعاهد المعلمين الابتدائية ؛ على أن تكون مهمة الأساتذة إلقاء المحاضرات ببعض المواسم السودانية ، ويزور الطلبة مختلف الأماكن هناك . وكان المقرر أن تسافر هذه البعثة في خلال سبتمبر الحالي ، وأرسلت الوزارة إلى وكالة حكومة السودان بالقاهرة تطلب حجز أماكن لسفرها من الشلال إلى الخرطوم ... وما كان أشد دهشة الوزارة عند ما تلقت من هذه

الوكالة أن الحكومة السودانية لا تسمح بسفر هذه البعثة إلى السودان « نظراً لتوتر الحالة السياسية ! » ولا تزال الجهات المسئولة تبحث هذه المسألة وإن كان قد غطى على أهميتها بيان حاكم السودان بالنيابة الذى تضمن الإصرار على تنفيذ الخطة التى ترمى إلى فصل السودان عن مصر وانفراد الانجليز بحكمه .

والواقع أن الإنجليز ينظرون إلى دعم الصلات الثقافية والأدبية بين شقى الوادى بعين القلق والخوف ، لأن الثقافة العربية الإسلامية المشتركة هى الروح التى تسرى فى « نخلة الوادى » من جذعها بالجنوب إلى جريدها وسعفها بالدلتا ، وإخواننا فى الجنوب يقرؤون المؤلفات والصحف والمجلات المصرية بشغف عظيم ، وتعمل الحكومة السودانية جاهدة على نشر اللغة الإنجليزية هناك بمختلف الوسائل ، فلغة الحكومة انجليزية ، والتعليم فى المدارس بالإنجليزية فيما عدا اللغة العربية ؛ ورغم كل ذلك يهتم السودانيون بالدراسات العربية اهتماماً كبيراً ، ولكثير من الأساتذة المصريين الذين زاروا السودان وحاضروا فى نواديه أطيب الذكر وأجمل الأثر

فلا عجب أن يخشى الإنجليز خطر البعثات المصرية إلى السودان وإن كانت ثقافية ، بل إن الرابط الثقافى أفعل من الدعاية السياسية فى هدم سياستهم الاستعمارية

توصيات المؤتمر الثقافى :

اختتم المؤتمر الثقافى العربى بلبنان أعماله فى اليوم العاشر من سبتمبر الحالى . وقد وزعت قرارات المؤتمر التى اتخذت بإجماع الآراء ، ومن أهم ما جاء فيها خاصاً بالتربية الوطنية وجوب بث الروح الوطنى فى نفوس النشء ، وأن يعد الوطن هو الوطن المحلى ، ثم الوطن الكبير الذى يضم الدول العربية ، وأن تكون الدراسات الاجتماعية أساساً لتدريس التربية الوطنية على أن يشمل هذا الأساس إبراز الاتصال الجغرافى التام بين البلاد العربية والتدليل على الدور الخطير الذى قامت به الدول العربية على ممر العصور فى إنشاء الحضارات وتقدم الإنسانية ، والتوسع فى إبراز دور الامبراطورية العربية ، وأن العروبة لم تكن يوماً لدين ما ، بل هى أمانة فى عنق كل عربى ، وأن التعصب لم يعرف فى البلاد العربية إلا فى العصور التى حكم فيها الأجانب

ومن القرارات الخاصة بالجغرافيا ، العناية بجغرافية الوطن المحلى ، ثم جغرافية البلاد العربية واتخاذ قدر مشترك يختاره كل قطر عربى ، وإقامة رحلات بين مختلف الطلبة العرب ليطلعوا عملياً على جغرافية البلاد العربية

ومن القرارات الخاصة بالتاريخ العناية بالتاريخ الوطنى المحلى وصلاته ببقية الأقطار العربية ، ثم تتسع الدراسة على ضوء القدر المشترك من التاريخ العربى وإبراز أبطاله وأمجاده ، والتبسط فى الصلات التاريخية بين البلاد العربية وإظهار أثر الحضارة العربية فى الحضارة العالمية ، وتمجيد الأحداث العظيمة ، وتخليد ذكرى عظماء الشرق العربى سواء بإقامة التماثيل لهم أو تسمية الشوارع بأسمائهم ، وضرورة اتخاذ الطريقة العملية فى دراسة التاريخ .

وقد قدمت هذه التوصيات بعد موافقة اللجان عليها من هيئة المؤتمر العامة للإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، لتعرضها على مجلس الجامعة ، فإذا أقرها أصبحت توصيات لكل بلد عربى أن يأخذ بها بالقدر الذى يرتضيه .

ويلاحظ القارئ أن هذه القرارات أو التوصيات لا تشمل اللغة العربية ، وهى من موضوعات المؤتمر مع التربية الوطنية والجغرافيا والتاريخ ، وقد ترامى إلينا أن القرارات التى أذيعت هى التى وافقت عليها اللجان بإجماع الآراء ، ولم يتم ذلك فيما يختص باللغة العربية .

« العباس »

مطبعة الرسالة :

تقدم كتاب

أحمد عرابى

الزعيم المفترى عليه

للأستاذ محمود الخفيف